

خطاب الاستشراق بين النقد ونقد النقد

The discourse of Orientalism between criticism and criticism of criticism

حكيمة دريسي*

جامعة سيدي بلعباس

hakimadrici15@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/10 تاريخ القبول: 2021/11/27 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص: تناول نقد الخطاب الاستشراقي في دراساته المستفيضة بنيات الاستشراق، وحللها تحليلًا خضع لمنهج نقاده الذين اتجهوا باتجاهات اختلفت أحيانًا وتقاطعت أحيانًا أخرى، ولا يزال نقدهم فاعلاً يحلل ما يفرزه الفكر الاستشراقي المواقب للتحويلات العالمية وتداعيات العولمة. فباتت العناية به حتمية لا يحيد عنها نقاد الاستشراق تفعيلاً لحضورهم في حقل الدراسات الإنسانية التي لا تعترف بالحدود الجغرافية لأنّ مركز ثقلها علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

كلمات مفتاحية: خطاب، الاستشراق، نقد، نقد النقد، القراءة.

Abstract: In his extensive studies the criticism of orientalist discourse dealt with the structures of orientalism and analyzed them in an analysis that was subject to the approaches of its critics ;who took directions that sometimes differed and intersected at other times and their criticism is still effective and solves what is produced by orientalism that accompanies global transformations and the repercussions of globalization.

Keywords: Discourse, Orientalism, Criticism, Criticism of Criticism, Reading.

1. مقدمة:

عاشت العلاقات الإنسانية بين مدّ الأنا وجزر الآخر، وخضعت صورتها لتنافر هويّة كلّ طرف الذي سعى إلى إقرار ثقافته، فأعلن عن ميلاد صراع شرس، لا يؤمن بحق الاختلاف وركّز على بسط سلطان الهيمنة الإيديولوجية، والسياسية، والعسكرية، ما أذكى خطاب الاستشراق، المطبوع ببنياته الخاصة، ومعطيّاته الجامعة للمرجعيات، ومسار النشأة والتحوّل ومحمل الدوافع والغايات، فعده البعض خطابا مركّبا معقدا لتناقض مخبره مع مظهره، لذلك لا بد أن يخضع لدراسات دقيقة لا تبسّطية.

2. ماهية خطاب الاستشراق:

خطاب الاستشراق «خطاب مركّب معقد، ومضلل، يظهر عكس ما يظن ويوري عكس ما يخفي، لا كما نظرت إليه كثير من الدراسات العربية التبسيطية الاختزالية بصفته فكرا متهافتا، وخطابا مفككا، متناقضا لا تمايز فيه¹ والتعقيد فيه يلمس من خلال حجه للحقائق التي انضوى عليها، مركّزا على إنشاء الآخر بمعطيات الأنا، فتصيّره تابعا لها، وتجذّده من كينونته، مستعرضا تصوراتها و تمثلاتها « الاستشراق خطاب لا يعكس حقائق، أو وقائع بل يصور تمثلات أو ألوانا من التمثيل، حيث تختفي القوة، والمؤسسة، والمصلحة، إنّ خلق جديد للآخر، أو إعادة إنتاج له على صعيد التصور، والتمثيل معا يجعل من الاستشراق موضوع معرفة، بينما يظل موضوعه الذي هو الشرق موضوع واقع لا تربطه به صلة تطابق، أو انعكاس²»

الاستشراق خطاب كأيّ خطاب له من الخصوصيات ما تجعله مميّزا خاصا قد يتجاوز الحقيقة، لتحقيق حقيقته التي ينشدها، ويدافع عنها بآلياته، وإمكاناته التي تحاول أن تخفي البين بينه وبين ما هو كائن على أرض الواقع « والواقع أنّ الاعتراف بأنّ للخطاب كينونته المستقلة، وحقيقته المميّزة يتم على حساب الحقيقة، يعني أنّ الخطاب يحجب الحقيقة التي يدّعي قولها، بقدر ما يتناسى حقيقته، أي بقدر ما يتجاهل أنّه منتج للحقيقة لا مجرد راو لها، أو ناقل، أو مترجم³»

ولعلّ ذلك ما دفع النقد إلى إدانة خطاب الاستشراق، وموضوع دراسته، دون أن يرى فيه ما يحمد، أو يستحسن وجوده. « يتفق أغلب الدارسين العرب للخطاب الاستشراقي على أحد أمرين، إمّا إدانة خطاب الاستشراق، أو إدانة الهوية الثقافية، والحضارية للمنطقة التي درسها

الاستشراق، الأول يتبرأ من أيّ فضيلة يمكن نسبها إليه، والثاني يتبرأ من كلّ ما يمتّ لهوية تفاخر بثغرات قابلة للنقد وتصرّ على التمسك أمامه»⁴

وتعود إدانة الاستشراق غالبا إلى سبب إدانة المستشرقين للتراث الإسلامي، وتهجمهم على دخره العظيم من خلال دراساتهم التي تكتسي طابع العلمية، وتضمّر العداء الحضاري والحقد العرقي ما دعا المسلمين إلى البحث في هذه الانزلاقات التاريخية التي تحافي التاريخ وتشوّ صورته الحقّة، وتصويباتهم نموذجاً من نماذج نقد الخطاب الاستشراقي « قد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين وألمهم فيها بحفاة الحقائق التاريخية، وتهجمهم على بني الإسلام وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الإساءات التي ليست إلّا وحيا لتقاليد موروثه»⁵

ومن المدينين إلى المعربين عن صنيع المستشرقين وفعلهم في الحياة العلميّة للشرق وهؤلاء يرون أنّ الابتعاث أسهم في نضج فكر المبتعثين الذين استفادوا من المستشرقين وتعلموا عليهم، بعدما تبوؤوا مكانة في الجامعات اللغويّة، والجامعات العربيّة، التي أوفدتهم آنذاك حتّى يتسنى لهم التواصل مع الشرق من خلال المنافذ العلميّة « لا يمكن إغفال دور المستشرقين في حياتنا العلميّة وإنكاره، فقد درس عليهم كثيرون من الأساتذة، والكتاب والعلماء، حيث أرسلت كثير من الجامعات العربيّة الإسلاميّة بعثاتها إلى جامعات الغرب التي كان يشغل فيها المستشرقون كراسي الدراسات العربيّة، والإسلاميّة، والشرقيّة، كما دعي بعض المستشرقين إلى الجامعات العربيّة، وترجمت بعض كتبهم إلى العربيّة، وأصبح بعضهم أعضاء في الجامعات العربيّة، والعلميّة، فقاموا بتدريسها، وتدرّس قضاياها المختلفة وقاموا بتقديمها للعالم الآخر بالطريقة التي يريدونها»⁶

في حين يرى البعض أنّ الاستشراق قد استفاد من الشرق، واغترف من علمه حتّى يبدّد ظلمات أوربا آنذاك، ويحوّلها إلى مركز ثقل، ولأجل ذلك سلك سبلا شتّى لاحتواء هذا العلم « فطن العالم الأوروبي إلى أهمية الكتب، وأثّما تحمل في طيّاتها حضارة أمة أنارت ظلمات العالم بإشعاعاتها، الخلقية، والثقافية، والعلميّة، بينما كان الغرب يغط في ظلمات الجهل، لذا لبناء مجدهم قد سلّكوا كل الطرق الممكنة، وغير الممكنة للحصول على الكتب فتارة يشترونها، وتارة يسرقونها، وتارة أخرى يأخذونها عنوة»⁷

والراجح أنّ الاطّلاع الدؤوب على ما يكتب، وينشر حولنا ضرورة في هذه العلاقة التي تسترعي عدّة، ويقظة فكرية، ونقدية يواجهه، ويجابه من خلالها ما يعترى الشرق الإسلامي من رهانات حادّة، حتى يحدّ من سلطة الآخر التي اجتهدت في إنشاء صورة له « يقتضي الالتزام الحضاري والتاريخي من المسلم المعاصر، الاطّلاع المباشر، والمستمر على ما ينشر عنه حول العالم في كلّ اللغات التي تتوفر له سبلها، ويمتلك ناصيتها، وإن بدرجات متفاوتة، وصورة المسلم الآخر صورة تمثيلية تصنع صناعة، وليس مطابقة وجوبا للمعطيات الموضوعية المكوّنة للمسلم في حدّ ذاته لفظا وفردا، وفكرا، وحيثما قبلنا تلك الصورة فإنّنا سنجد أنفسنا في مجال الآخريّة في أبهى تجلياتها»⁸

الاستشراق خطاب مفعم بالسلطة التي تخدم سلطانها فتشيع أفكاره، وتجتهد في نصرة مصالحه فتتمظهر معرفيا لتأمين، وتثبيت مراميه ذات الأبعاد المتعدّدة «السلطة تعمل من خلال ممارساتها المباشرة، وغير المباشرة على ظهور خطاب معرفي يخدم أغراضها، ويروج لأفكارها والسلطة العالمية ذات القطب الواحد، تضخ إلى وعيك، ولا وعيك خطابها المعرفي بشقّ الوسائل»⁹ وحتى يتحرر الخطاب لا بدّ أن تكون انطلاقة منه وإليه. لا تدفعها مؤثرات خارجيّة توجهه كيفما، وأينما شاءت، وبذلك يفقد طابعه وسماته الخاصة به «ولكي يكون الخطاب عتقا لأشياء، ولنا أيضا لا بدّ أن نطلق من الخطاب نفسه، وليس من خارجه أو من حدث يفترض فيه الأسبقية على الخطاب»¹⁰

3. نقد الاستشراق:

بدأ نقد الاستشراق لدى علماء العرب والمسلمين في مراجعاتهم الفاحصة لما قدّمه المستشرقون من دراسات حول التراث العربي الإسلامي، وصاحب ذلك الحركة النهضة الإحيائية التي تصدّت للاستعمار، ولغزوه الثقافي، الذي أقحم صنّاعه في تراث الشرق الإسلامي الذي لم يستغ إقحاماته «انطلق مفهوم نقد الاستشراق في بداية النهضة العربية عندما لاحظ المفكّرون العرب والمسلمون دخول عنصر الاستشراق بقوة في دراسة التراث العربي الإسلامي ومع الحركات الإحيائية التي عمّت العالم، ومنه العالم العربي الإسلامي جرت مراجعات لإسهامات المستشرقين»¹¹

اختلف المنهج في نقد الاستشراق باختلاف كلّ ناقد، وما يملك من ملكة نقدية، تجيد إحكام التوازن بين المكتسبات الثقافية، والازداد الفكريّ مع دقة الطرح التي تخضع لشروط العلميّة «النقد رهن التّأرجح بين وضعين: وضع ثقافي ذي أبعاد فكريّة، وقيمة، ووضع علمي يسعى حيازة صرامة العلوم، وإجرائياتها»¹²

وبعدّ البعض النقد سبيلا من سبل الحوار إذا أتقن مهمته، والتزم موضوعيته، وتقيّد بالمنهج نفسه في نقد الذات التي يتحرى أن يكسبها من الحقوق من خلال تصويب أخطائها ونصرة محامدها «ولا جدال في أنّ النقد له بطبيعة الحال مكان هام في الحوار، ولكن النقد الذي ينصب فقط على إبراز أخطاء حضارة الآخرين، يمكن أن يؤدي إلى نظرة متعالية تتسم بالغطرسة والاستعلاء، ومن هنا يجب أن يسير هذا النقد للآخرين على نحو موضوعي جنبا إلى جنب مع النقد الذاتي الواعي بالأخطاء، والموافق الخاطئة للحضارة، التي ينتهي إليها من يوجهون النقد لحضارة الآخرين»¹³ تسليط النقاد ضوء هجومهم على المستشرقين وإنتاجاتهم، طبع على نقدهم طابع التعميم الذي أفقدها التنوع، والتصنيف الدقيق لطبقات هؤلاء المستشرقين «دخل في النقد التعميميّ الاستشراقيّ مفكّرون، وعلماء بعضهم لا يعلم عن الاستشراق إلّا ما جاء به من سلبيات، فجرت مصادرة الإيجابيات التي خدم بها الاستشراق التراث، أو التهوين منها، وأثّما لا ترقى إلى تلك السلبيات التي جنى فيها المستشرقون على التراث»¹⁴

اهتم الباحثون بنقد الخطاب الاستشراقيّ لما وجدوه وثيق الصلة بالهوية والحضارة لهذا نال هو الآخر العناية ما جعله خطابا هاما في الحوار، ففحص، ودرس فأكسبه الحيويّة والاستمرارية، وأضحى مادة للدراسة تحتاج إلى عناية، وفهم «النقد يستحيل أن يكون موجودا وحده، أو مستغنيا عن غيره، فهو مثله مثل كلّ الخطابات المعرفيّة خطاب حوارى ولا نصل إليه إلّا من خلال اختيار زاوية نظر معقولة، وملائمة نصطنعها أداة للفهم، وهذا يعني أنّ أهم ما يجب أن نبحث عنه لفهم النقد هو أن نحدد زاوية النظر تلك، فهي التي تجعلنا نختلف أو نتفق، وتجعل لاختلافنا شرعية الانتساب إلى المعرفة»¹⁵

4. نقد نقد الاستشراق:

وهو الأمر كذلك في نقد نقد الخطاب الاستشراقي، فلا يختلف موضوعه، وآلياته على نقد النقد باعتباره خطاباً نقدياً ونقده يراجع ويعاينه» هو قول آخر يدور حول مرجعية القول النقدي ذاته وفحصه وأعني مراجعة مصطلحات النقد، وبنيتة التعبيرية، وأدواته الإجرائية، وهو خطاب نقدي يقوم على خطاب نقدي آخر، فينظر في منهجه، وإجراءاته النظرية والعملية»¹⁶ نقد نقد الخطاب الاستشراقي نشاط نقدي يراجع مطارحاته النقدية، ويكشف عن تحليلاته الفكرية وإجراءاته المنهجية، ولعلّ أهم ما نال حظه من البحث في ذلك المنهج الذي اعتمد في نقد الاشراق لأنّ «المنهج هو الإجراء العقلاني، والمنظم للفكر بغية الوصول إلى هدف معين»¹⁷ ذلك أنّ التعسف في المنهج لا يرفع هذه الدراسات الإنسانية إلى المستوى المطلوب الطامح إلى تحليل بنيات هذه العلاقة التي تربط بالآخر، ومحاولة الوصول إلى ما هو أرقى فيها» إنّ التعسف في استخدام المنهج يسهم وبشكل فاعل في جعل أيّ توجّهات علميّة في الدراسات الإنسانية، وخصوصاً ذات العلاقة بالآخر تقع بين جنين متناقضين هما الرفض والقبول، والسلب والإيجاب»¹⁸

ونقد نقد الخطاب الاستشراقي يقدّم طرحه المتعلق بالمعرفة حول الآخر، ما يجعل الناقد يستند إلى منظومة، تشدّه إلى نقده المتوزع بين الأنا الذي يمثل ناقد الاستشراق والآخر التي هو موضوع هذا الناقد» إنّ كل معرفة بالآخر هي معرفة تقييمية تستند إلى منظومة قيم معينة تمارس تأثيرها على الباحث، فتوجّه تعامله مع الموضوع الذي يدرسه وتوجّه اختياره للمفاهيم والفرضيات، والوقائع»¹⁹

5. القراءة في نقد الخطاب الاستشراقي:

قد ينجح بعض الباحثين في تناولهم لنقد الخطاب الاستشراقي لفعل القراءة الذي يعني لغة الصم والنطق، والإبلاغ، ويحرّره من مسؤولية النقد إلى حرية التأويل، والتحليل والتفسير» النقد مسؤولية وموقف، والقراءة حريّة وتحرّر، النقد ملممة، وموقعة، وموضوعة ومفهمة، والقراءة رمرمة، وحوم، ورصد، وغوص»²⁰ وإذا كان النقاد قد قرئوا القراءة بالحرية، التي تخفف عنها التزام النقد إلى التحرر في تعاطيها مع النص، إلّا أنّ فعلها لا يهتم بالنقل، والوصف، بل يبيّن نصّاً آخر يعرب عن تعامل صاحبه مع النص النقديّ الأول» إنّ القراءة منهج يستقرئ النص، ويعيد شرح عناصره في

ضوء افتراضات ليست سوى فهم لسياقات النص الأصلية، عمليا لا يهتم بوظيفة الوصف، والتفسير وإنما إعادة بناء النص، فهي تترجم فعلا من أفعال تلقي النص، ونوع التعامل معه، فهي فهم وترجمة لنص من منظور خاص، تدخل فيها عناصر قياس، ومقابلة وثقافة، ورغبات متمثلة في جملة الآليات الإدراكية، والنفسية والثقافية التي تحصل عند مواجهة نص ما»²¹

نقد الخطاب الاستشراقي يقوم على ركائز، وخلفيات، وسوابق إيديولوجية، فلسفية، لا يبتعد عن أي نقد تحليلي بإجراءات منهجية دقيقة، أما القراءة فيه تنبثق منه بحرية يتمتع بها القارئ الذي يجوب في هذا الخطاب النقدي، فيطلق العنان لإبداعاته، وذوقه «القراءة تحليل وتطبيق، ولعلها تشرب، وتذوق، ولعلّ القراءة إبداع تولّد عن إبداع آخر على حين أنّ النقد هو اتخاذ موقف فلسفي، أو موقف ينهض على خلفية فلسفية أو خلفية إيديولوجية من كتابة ما أو اتخاذ موقف ناقد سابق، كان اتخذه هو من هذه الكتابة (نقد النقد)، فالنقد قد يكون تحايلا لكن خلفيته فلسفية، في حين أنّ تحليل القراءة التي هي تحسس، وتلطف، وتقبل ينتهض على الحاسة الذوقية، واستلهاهم الجمالية الرقيقة»²²

وإن تميّزت القراءة بالحرية لا يعني أنها تتسم باستهلاكية، وتجعل القارئ مستهلكا بل لا بد أن تطبع بالإننتاجية الإبداعية، وتحوله إلى منتج مبدع، فيبدع نصا آخر، يبعث فيه الحيوية، ويكشف عن حياة النص الذي يقبل القراءات، وتعدد القراء، الذين يفتح أمام تأويلاتهم، وإجراءاتهم التحليلية. «القراءة الحية تقرأ في النص المختلفة عن ذاته، وهي فاعلة منتجة، في الاختلاف عن النص، وبه أوله، فليس كلّ خطاب يتيح إمكان القراءة، فالنص ذو البعد الواحد، أميل إلى التصور لا يستدعي القراءة، والخطاب الذي يكون متشابك الدلالات، متعدّد المستويات متراكب الطبقات، يتيح إمكان القراءة الحية الكاشفة، وقراءاته تتعدد بتعدد مستوياته وتختلف باختلاف قرائه»²³

القراءة نشاط منتج فاعل له من الاستقلالية ما يجعله مختلفا عن النص الأول، وإن كان موضوعه مستمدا منه، يعكس دور القارئ، وما يضيفه عليه، من كشف لمكونات يتبلور من خلاله الدور الذي يؤدّيه والذي يختلف عن قارئ آخر، هو نفسه منتج لقراءة أخرى «القراءة ليست مجرد

صدى للنص، إنّما احتمال من بين احتمالاته الكثيرة، والمختلفة، وليس القارئ في قراءته كالمراة لا دور له إلا أن يعكس الصورة، والمفاهيم، ويحقق إمكانا دلاليا لم يتحقق من قبل، وهي اكتشاف جديد تستكشف بعدا مجهولا من أبعاد النص، وتعمل على تحويله، وتختلف عما تريد قراءته، وشرطها، وعلة وجودها، وتحقيقها أن تكون كذلك، أي مختلفة عما تقرأ فيه ولكن فاعلة، ومنتجة باختلافها»²⁴

وانصبّت اهتمامات قراءة نقد الخطاب الاستشراقي، حول كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، الذي عدّ أحد أهم الكتب النقدية في الدراسات الإنسانية، مركزا على النظريات الحديثة في تفسير طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب، وسجل بذلك نقطة تحوّل في تاريخ هذا الاختصاص « كتاب إدوارد سعيد استخدم فيه استراتيجيات القراءة التي طورها النظرية الأدبية الحديثة، للكشف عن مدى انتهاك حقوق الآخر المغاير في واحدة من الخطابات التخصيصية للثقافة الغربية، وهو الخطاب الاستشراقي، وذهب في مشروعه النقدي الكبير إلى تغيير النظرة للشرق داخل قطاعات واسعة من متخصصي الثقافة الغربية ذاتها إلى إرهاف وعي المستشرقين بطبيعة الخطاب الاستشراقي، وبتميزاته التي استأثرت انتهاك حقوق الآخر، واستفادت منه»²⁵

هذا شكل من أشكال القراءة في نقد الخطاب الاستشراقي، والذي نلفي فيه تركيز القارئ على موضوع كتاب الاستشراق، ودوره في بلورة مفهوم العلاقة بين الشرق والآخر، وفي ذلك اطلاع على هذا الخطاب، وتقريبه إلى ذهن المتلقي وكأنّ معرفة القراءة تمارس دور الوساطة إليه» إنّ معرفة الأشياء، والعالم بمفهومه الواسع تقتضي وساطة الإنسان ممّا يكسب هذه المعرفة صفة التاريخية، والنسبية، فالإنسان ينتج معرفة عن العالم لا تطابق بالضرورة هذا العالم في حقيقته وفيما به موجود، وهي معرفة قابلة بدورها لأن تكون معرفة أخرى كالنقد الذي يصبح بدوره منقودا»²⁶

وتصنف القراءة حسب درجة فعلها، وسلّم فاعليتها، لدى النقاد، استطلاعاً، وفضولاً ومساءلة على أن تسمو إلى القراءة المثمرة، التي تنشئ خطابا نقديا مثمرا» قد تكون القراءة مجرد نشاط ذهني استهلاكي، قد تكون استطلاعية، أو فضولية، أو قائمة على الملاحظة أو المساءلة، على حين أنّ القراءة المثمرة هي المتولدة عن تسجيل الملاحظات المتمخضة للمقروء ابتغاء الكتابة عنه، فكأن هذه القراءة هي الأرقى»²⁷

وبهذا تستنطق القراءة المثمرة المضمرة، والمسكوت عنه في الخطاب، فيتحقق فعلها الذي يبتغي منه الكشف عن الخبايا الكامنة للنص، ويبحث الحياة فيه بعد تحليله، وتفسيره «و لا ريب أنّ الجزء المسكوت عنه في كلّ خطاب مطلب مشروع عند الناس على اختلاف مشاربهم، وتباين رتبهم العلميّة ومستوياتهم المعرفية»²⁸

قراءة نقد الخطاب الاستشراقي تكون لها فاعلية إذا تكوّنت من فعل القراءة الذي لا يتعدى على ما يقرأ، بل تكون قراءته من فكر القارئ لا المقروء، حتى يتحرّر من تبعيات الانقياد لسابقه ليدرك مدى إتقانه لمنهج النقد الذي لا يجتزأ أقوال غيره، ويرى مدى جدّته في هذا البحث «كل قراءة فعّالة، منتجة لا يمكن إلا أن تختلف عن النص من بين احتمالات أخرى مختلفة، بغية تأويله، أو إعادة ترميمه، والقراءة التي نقترحها تطرق، وتستنطق، تكشف وتقلّب، تحفر و تنسخ فتبذل، تبني وترسم، ترحح، وتقرّح»²⁹

واستقلالية القارئ عن المقروء لا يجرده من ترسبات فكرية أخرى، وذاتية تستقطبها إليه وتجعله يحيد عن الموضوعية أحيانا بتأثيرات بيئته الثقافية التي توجهه نقده إلى ما تؤمن به «ليس الدارس صفحة بيضاء، ولا حضورا مستقلا متعاليا مجردا، ومجهزا بأدوات علمية لا يأتيها الباطل، لكنه حضور مشحون بالذاتية، محمّل برؤى، و تصورات عملت على تشكيلها وبلورتها نماذج تفكير موروثة، أو مكتسبة، من التجربة الحاصلة عن طريق الاحتكاك بالثقافة وأنماط التفكير السائدة في المحيط الخارجي، ممّا يحكم على عمل من قبيل ما تنهض به بالانحراف، ومن تم بالنسبية»³⁰ معالجة نقد الآخر يقضي الإيمان بالاختلاف، والمختلف الموضوعي هو الذي لا يكتب بصيغة الذاتي، حتى يؤتى له النجاح «قول الاختلاف يعني أنّ المختلف لا يكتب بلغة الذاتي، لأنّ عقل المختلف، أو قوله شرطه الخروج من الذات، وعليها أي قبول الآخر والاعتراف به»³¹

قراءة نقد الخطاب الاستشراقي اتجهت اتجاهين، أولهما الإقرار بأهمية ما قدّم النقد في تفسير علاقة الأنا بالآخر، ومدى صحة الحوار الذي يدور حول ثقافتها، ومما نال هذا الاتجاه من القراءة محمود شاكر «هذا ما فعله محمود شاكر إذ يناقش قضية الاستشراق على محورين أولهما يتعلق بحوار الثقافات، وفسر الأنا على تبني منظور الآخر، بينما يتعلق ثانيهما بالجانب الصحي من هذا الحوار،

حينما تصبح معرفة الثقافات الأخرى مدخلا للفائدة، والمناظرة والمحور الأول هو الذي دفعه إلى طرح قضية المنهج بتلك الصرامة الواضحة»³²

أما الاتجاه الثاني يرى أن النقد اجتز مفاهيم غير ناضجة، فلم تفسر الرؤية الحقيقية وظلت قابعة في إطارها الضيق الذي لم يؤت أكله في نظر بعض الباحثين «أما النقد الإيديولوجي للغير، والذي هو الوجه الآخر للتعلق للعصبي بالهوية والتراث، فلم يفعل شيئا سوى حجب الرؤية، إنّه نقد لم يتحصل عليه سوى تثبيت العرب في حال العجز الذي يرسفون فيها، فها نحن مضت علينا عقود وعقود ونحن نوجه النقد لأروبا وأمريكا، وإسرائيل من دون نتيجة تذكر»³³

ومن هذا الاتجاه تمة ضرورة إلى إعادة النظر في هذه القراءة، التي ترى أنّ النقد الإيديولوجي للآخر لم يحقق نفعاً بل النفع في هذا هو إثبات الرأي بالرفض أو القبول لأية ثقافة مستوردة ما يؤكد وجود هوية، يرفض ذوبها الانسلاخ، والذوبان في عجز الاستكانة والاستخفاف ما يستعري تجسيد مشروع مؤسساتي، يسيطر على هذه الرهانات، والتحديات «وفي هذا الزمن من التكنولوجيا، والمعلومات المكثفة لم يعد ممكناً عزل الخطاب المعرفي عن الظرف الاجتماعي الذي أفرزه، ولم تعد المعرفة كذلك إبداعاً فردياً، بل مشروعاً لا تقدر على القيام به إلا المؤسسات، إنّه عمل مراقب منظم، ومقيّد بضغوط آلة العصر، التكنولوجيا بأنواعها»³⁴

6. الخاتمة:

الصراع بين الأنا والآخر حرّك هذه القضية التي جلبت إليها النقاد، والمفكرين الذين وجد بعضهم أن إخماد الصراع قد يكون بحوار يملك من الدخيرة ما يجعلنا كفة وازنة فيه والأساس في ذلك يكون بتقوية الذات، وسدّ الفراغ «وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري والتبادل المعرفي، وتوقف فعلاً الغزو الفكري، والافتراق الاستشراقي، لا بد أن نكون قادرين على امتلاك الشبكة الفعلية، أن نكون قادرين على الانتاج الفعلي، لمواد ثقافية، تمثل ثقافتنا وتأتي استجابة لها، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائماً، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل، أو ملء الفراغ بعمل بنائي، مستمر، وتحصين الذات»³⁵

تتفاعل قراءة نقد الخطاب الاستشراقي مع مقروئها حتى تنجز هي الأخرى خطابا هاما يتعدد باختلاف القراء، الذين ينبثق عملهم من دراسة هذا النقد، وتشريح محاوره ومراقبة منهجه.

7. الهوامش:

- ¹ - المبروك الشيباني المنصوري، صناعة الآخر، الإسلام في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلام فوبيا مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2104، بيروت، لبنان، ص6.
- ² - سالم يفوت، حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989، بيروت، لبنان، ص8.
- ³ - علي حرب، أسئلة الحقيقة، ورهانات الفكر، مقاربات نقدية و سجالية، دار الطليعة، ط1، 1994، بيروت، لبنان، ص6.
- ⁴ - عبد الفتاح نعوم، الاستشراق وثنائية القوة والضعف، بصدد البحث عما أضاعه نقد الاستشراق، دراسات استشرافية العدد السادس، شتاء 2016، ص188.
- ⁵ - عبد الجليل شلي، الإسلام والمستشرقون، مطبوعات الشعب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص3.
- ⁶ - ادريس حامد محمد آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، د.ط، د.ت، ص3.
- ⁷ - طارق سري، التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، المكتبة النافذة، ط1، 2006، الجيزة، القاهرة، ص26.
- ⁸ - المبروك الشيباني المنصوري، صناعة الآخر، الإسلام في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلام فوبيا مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2104، بيروت، لبنان، ص11.
- ⁹ - هاشم غرابية، المخفي أعظم رؤية ذاتية، وقراءات نقدية، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999، الأردن، ص9.
- ¹⁰ - عبد الله محمد الغدّامي، المشاكل والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، بيروت، لبنان، ص26.
- ¹¹ - علي بن إبراهيم نغلة، نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربيّة، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2010، ص15.
- ¹² - عبد العاطي الزياتي، أسئلة نقد النقد، وأبعاد التنظير النقدي، الرقيم، العدد10، خريف 2015، ص40.
- ¹³ - محمود محمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، تر: مصطفى ماهر ووزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 2002، القاهرة، ص45.
- ¹⁴ - علي بن إبراهيم نغلة، نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربيّة، ص16.
- ¹⁵ - محمد الدغموي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، الرباط المغرب، ط1، 1999، ص10.
- ¹⁶ - رشيد هارون، الأسس النظرية لنقد النقد، مجلد2، العدد1، حزيران 2012، ص123.
- ¹⁷ - منذر العياشي، النقد الثقافي بين العلم والمنهج، قراءة في كتاب عبد الله الغدّامي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان، ص89.

- 18- فارس عزيز المدرس، زاهدة محمد الشيخ، الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب، آداب الرفادين، العدد 60 2011 ص12.
- 19- سالم يفوت، حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي، ص19.
- 20- عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط، 2000 وهران الجزائر، ص39.
- 21- محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ص 269، 270.
- 22- عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، ص38.
- 23- علي حرب، نقد النص، النص والحقيقة، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005، بيروت، لبنان، ص 20.
- 24- علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، بيروت، لبنان، ص5، 8.
- 25- صبري حافظ أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 1996، القاهرة، مصر، ص36.
- 26- محمد الناصر العجمي، النقد العربي الحديث، ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1 1998 صفاقس، تونس، ص8.
- 27- عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، ص30.
- 28- عزيز محمد عثمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، عالم الفكر، العدد3، المجلد37، يناير- مارس 2009 الكويت، ص80.
- 29- علي حرب، أسئلة الحقيقة، ورهانات الفكر، مقاربات نقدية و سجالية، ص25.
- 30- محمد الناصر العجمي، النقد العربي الحديث، ومدارس النقد الغربية، ص8.
- 31- علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، ص9.
- 32- صبري حافظ أفق الخطاب النقدي، ص165.
- 33- علي حرب، أسئلة الحقيقة، ورهانات الفكر، ص180.
- 34- هاشم غرابية، المخفي أعظم رؤية ذاتية، وقراءات نقدية، ص18.
- 35- أحمد عبد الرحيم، السايح، الاستشراق ومنهج نقده، جامعة قطر، العدد 10- 1992، مكتبة البين، قسم الدوريات، ص 452.

8. قائمة المراجع:

- 1- أحمد عبد الرحيم، السايح، الاستشراق ومنهج نقده، جامعة قطر، العدد 10- 1992، مكتبة البين.
- 2- ادريس حامد محمد آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، د.ط، د.ت.
- 3- هاشم غرابية، المخفي أعظم رؤية ذاتية، وقراءات نقدية، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999، الأردن.
- 4- محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، الرباط المغرب، ط1، 1999.

- 5- محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث، ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1 1998 صفاقس، تونس.
- 6- محمود محمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، تر: مصطفى ماهر وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 2002، القاهرة.
- 7- منذر العياشي، النقد الثقافي بين العلم والمنهج، قراءة في كتاب عبد الله الغدّامي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان.
- 8- رشيد هارون، الأسس النظرية لنقد النقد، مجلد2، العدد1، حزيران 2012.
- 9- سالم يفوت، حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي.
- 10- صبري حافظ أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 1996، القاهرة، مصر.
- 11- طارق سري، التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، المكتبة النافذة، ط1، 2006، الجيزة، القاهرة.
- 12- عبد الجليل شلبي، الإسلام والمستشرقون، مطبوعات الشعب، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 13- عبد العاطي الزباني، أسئلة نقد النقد، وأبعاد التنظير النقدي، الرقيم، العدد10، خريف 2015.
- 14- عبد الله محمد الغدّامي، المشاكل والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، بيروت، لبنان.
- 15- عبد المالك مراض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط، 2000 وهران الجزائر.
- 16- عبد الفتاح نعوم، الاستشراق وثنائية القوة والضعف، بصدد البحث عما أضاعه نقد الاستشراق، دراسات استشراقية العدد السادس، شتاء 2016.
- 17- علي بن إبراهيم نغلة، نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2010
- 18- علي حرب، نقد النص، النص والحقيقة، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005، بيروت، لبنان.
- 19- أسئلة الحقيقة، ورهانات الفكر، مقاربات نقدية و سجالية، دار الطليعة، ط1، 1994، بيروت، لبنان.
- 20- عزيز محمد عثمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، عالم الفكر، العدد3، المجلد37، يناير- مارس 2009 الكويت.
- 21- فارس عزيز المدرس، زاهدة محمد الشيخ، الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب، آداب الرادين، العدد60 2011.
- 22- صبري حافظ أفق الخطاب النقدي، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 1996، القاهرة، مصر.